رد المتشابه إلى المحكم في القرآن الكريم

إعداد

د . محمد السيد محمد يوسف

مدرس التفسير وعلوم القرآن الكريم بكلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنين فرع جامعة الأزهر بالديدامون

رد المتشابه إلى المحكم في القرآن الكريم

مقدمة:

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة حق لا يشوبها ارتياب. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، المبعوث إلى خير أمة بأشرف كتاب .

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله، وارض اللهم عن أصحابه وأتباعه، ومن سلك طريقهم إلى يوم الدين .

أما بعد

فإن القرآن الكريم من أجلّ وأعظم نعم الله تعالى على عباده المؤمنين. وقد جعل الله تعالى قراءته وتدبره من أسمى العبادات وأفضل الطاعات. فما تقرب أحد إليه سبحانه بأفضل من تلاوة كلامه وتدبره وتعلمه وتعليمه والعمل به .

والوصول إلى فهم القرآن الكريم فهما صحيحا حاجة ماسة، وضرورة ملحة. لا تستغني عنها الأمة الإسلامية في أي زمان ومكان .

وهذا الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى لا يأتي إلا بناء على أصول سليمة، ورؤية سديدة ، وقواعد واضحة ، ومنهج محكم .

وتحقيقا لهذا الهدف كانت وما زالت هناك الإسهامات الجادة والمثمرة من علماء الأمة في تقعيد علم أصول التفسير ، وترسيخ قواعده .

ولقد شرح الله تعالى صدري للكتابة حول قاعدة من قواعد التفسير، وأصل من أصوله وهو: « رد المتشابه إلى المحكم في القرآن الكريم» ليكون هذا العمل لبنة في هذا البناء العظيم، وخطوة على هذا الطريق المبارك .

وإني أعتقد أن هذا الموضوع من الأهمية بمكان، حيث يترتب على تطبيق هذا الأصل، والسير على هذه القاعدة الوصول إلى فهم الكثير من آيات الكتاب العزيز التي اشتبهت على كثير من المسلمين، بل وعلى عدد غير قليل من المفسرين والمختصين.

كما يجلي هذا الموضوع أهمية النظرة الكلية الشمولية المستوعبة لكتاب الله تعالى، التي يبرز من خلالها أنه لا تناقض ولا اختلاف بين شيء من آيات القرآن الكريم، فالكل حق يجب الإيمان به وإتباعه، ورد المتشابه منه إلى المحكم .

خطة البحث :

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة .

اشتملت المقدمة على :

- الاستفتاح، وأهمية الموضوع، وخطة البحث .

وأتحدث في التمهيد عن :

- تعريف المحكم والمتشابه .
- الحكمة من إيراد المتشابه في القرآن الكريم .

وأما المبحثان فهما كالتالي :

المبحث الأول: أهمية هذا المنهج في فهم وتفسير القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أمثلة لرد المتشابه إلى المحكم في القرآن الكريم.

وأما الخاتمة: فتشتمل على:

خلاصة البحث ونتائجه- فهرس المراجع- فهرس الموضوعات.

وقد اعتمدت في هذا البحث على كتب التفسير المتنوعة التي تحقق الهدف، وتصل إلى المطلوب من أقرب طريق. واتبعت في أداء ما قصدت إليه طريقة وسطى بين الإجمال والتفصيل .

وأسأل الله جل شأنه أن يوفقني فيما قصدت، ويعافيني مما أخطأت، وأن يحقق بهذا العمل النفع المرجو والأثر المقبول، وأن يهبني سبحانه شرف الرضا ومنة القبول.

وأبرأ إليه سبحانه من حولي وقوتي، وألجأ إلى حوله وقوته. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين،

والحمد لله رب العالمين .

التمهيد

تعريف المحكم والمتشابه :

الإحكام في اللغة: الإتقان البالغ، ومنه البناء المحكم الذي أُتقن، فلا يتطرق إليه الخلل أو الفساد. قال ابن منظور : المُحْكَمُ الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب .

أما المتشابه في اللغة: فمأخوذ من الشِّبه، وهو التماثل بين شيئين أو أشياء.

والمحكم اصطلاحا: هو الواضح الدلالة، المستقل بنفسه، ولا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً . والمتشابه اصطلاحا: ما احتمل وجوها، ولم تتضح دلالته، ولا يستقل بنفسه، ويحتاج إلى بيان برده إلى غيره . (١)

حكمة ورود المتشابه في القرآن الكريم :

أخبر الله تعالى أن في القرآن الكريم آيات محكمات هن أم الكتاب، أي: بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد من الناس، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن ردّ ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكم محكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى. ومن عكس انعكس(٢)، قال جل شأنه:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ (٣)

وفي هذه الآية الكريمة يخبر تعالى عن عظمته وكمال قيوميته أنه هو الذي تفرد بإنزال هذا الكتاب العظيم، الذي لم يوجد ولن يوجد له نظير أو مقارب في هدايته وبلاغته وإعجازه وإصلاحه للخلق، وأن هذا الكتاب يحتوي على المحكم الواضح المعاني البين الذي لا يشتبه بغيره. ومنه آيات متشابهات تحتمل بعض المعاني، ولا يتعين منها واحد من الاحتمالين بمجردها حتى تضم إلى المحكم .

---

(١) يراجع : لسان العرب مادة : ح ك م ١٢/ ١٤٠، مناهل العرفان للزرقاني ٢/ ٢٧٠ ، البحر المحيط ٣ / ١٥٣ وما بعدها بتصرف يسير جداً .

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ٦

(٣) سورة آل عمران، الآية : ٧

فالذين في قلوبهم مرض وزيغ وانحراف لسوء قصدهم يتبعون المتشابه منه، فيستدلون به على مقالاتهم الباطلة، وآرائهم الزائفة، طلبا للفتنة، وتحريفا لكتابه، وتأويلا له على مشاربهم ومذاهبهم ليضلوا ويضلوا.

وأما أهل العلم الراسخون فيه الذين وصل العلم واليقين إلى أفئدتهم فأثمر لهم العمل والمعارف فيعلمون أن القرآن كله من عند الله، وأنه كله حق، محكمه ومتشابهه وأن الحق لا يتناقض ولا يختلف.

فلعلمهم أن المحكمات معناها في غاية الصراحة والبيان، يردون إليها المشتبه الذي تحصل فيه الحيرة لناقص العلم وناقص المعرفة، فيردون المتشابه إلى المحكم، فيعود كله محكما، ويقولون: " آمنا به كل من عند ربنا " وما يذكر " للأمور النافعة والعلوم الصائبة إلا " أولوا الألباب " أي : أهل العقول الرزينة.

ففي هذا دليل على أن هذا من علامة أولي الألباب ، وأن اتباع المتشابه من أوصاف أهل الآراء السقيمة والعقول الواهية والقصود السيئة . (٤) هذا ، وقد أسهب علماؤنا – أجزل الله مثوبتهم – في بيان الحكمة من إيراد المتشابه في القرآن الكريم – وهذا بالطبع على حسب اجتهادهم ، وما فتح الله به عليهم من الفهم –. ونحاول فيما يلي تلخيص أقوالهم في النقاط التالية :

١. أنزل الله سبحانه المتشابه اختباراً ليقف المؤمن عنده، ويرده إلى عالمه، فيَعْظُم به ثوابه، ويرتاب به المنافق، فيستحق العقوبة. ولقد أشار الله تعالى في كتابه إلى وجه الحكمة في ذلك بقوله:

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ (٥)

ثم قال جواباً لهم : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾. فأما أهل السعادة فيعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، فيستوجبون الرحمة والفضل، وأما أهل الشقاوة فيجحدونها، فيستوجبون الملامة.

) يراجع: تفسير ابن كثير ٢ / ٦ ، فيض الرحمن تفسير جواهر القرآن ١ / ١١٣ بتصرف يسير .

(٥) سورة البقرة، الآية : ٢٦

٢. إن الله سبحانه احتج على العرب بالقرآن الكريم، إذ كان فخرُهم ورياستهم بالبلاغة وحسن البيان، والإيجاز والإطناب، والمجاز والكناية والإشارة والتلويح، وهكذا فقد اشتمل القرآن على هذه الفنون جميعها تحدياً وإعجازاً لهم.

٣. أراد الله عز وجل أن يشغل أهل العلم بردّ المتشابه إلى المحكم، فيطول بذلك فكرهم، ويظهر بالبحث اهتمامهم، ولو أنزله محكماً لاستوى فيه العالم والجاهل، فشغل العلماء به ليعظم ثوابهم وتعلو منزلتهم، ويكرم عند الله مآبهم .

٤. إقامة دليل على عجز الإنسان وجهالته، مهما عظم استعداده وغزر علمه. وإقامة شاهد على قدرة الله الخارقة، وأنه وحده هو الذي أحاط بكل شيء علماً، وأن الخلق جميعا لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء. وهناك يخضع العبد ويخشع، ويقول ما قالت الملائكة بالأمس:﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ﴾(٦)

٥. باشتمال القرآن الكريم على المحكم والمتشابه يضطر الناظر فيه إلى تحصيل علوم كثيرة مثل: اللغة، والنحو، وأصول الفقه .. وغيرها، مما يعينه على النظر والاستدلال. (٧)

هذا، ومع أن الله جل شأنه أورد المتشابه في كتابه الكريم للحكم والمقاصد السابقة، ولأخرى يعلمها سبحانه، إلا أنه لا يجوز لأحد أن يتتبع المتشابه ويقف عنده دون الرجوع إلى المحكم، ومن يفعل ذلك فقد ضل سواء السبيل.

وقد جاء التحذير من هذا المسلك والنهي عنه في الحديث الصحيح المروي عن أم المؤمنين عائشَةَ رضي اللَّهُ عنها قَالَتْ:

تلا رَسُولُ اللَّه ﷺ هذه الْآيَةَ هُوَ الذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكتَابَ منْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكتَاب وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذينَ في قُلُوبهمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ منْهُ ابْتغَاءَ الْفتْنَة وَابْتغَاءَ تَأْوِيله وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسخُونَ في الْعلْم يَقُولُونَ آمَنَّا به كُلٌّ منْ عنْد رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَاب قَالَتْ قَالَ ﷺ فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ منْهُ فَأُولَئكَ الَّذينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ . (٨)

وروى الدرامي في مسنده، والسيوطي، وغيرهما، عن سليمان بن يسار أن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر وقد

( ) سورة البقرة ، الآية : ٣٢

( ) يراجع: الكشاف للزمخشري ١/ ٢٥٥، مناهل العرفان في علوم القرآن ٢ / ٢٨٣ وما بعدها بتصرف .

( ) رواه البخاري في صحيحه ك: تفسير القرآن ب: " منه أيات محكمات " رقم الحديث ٤١٨٣

أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: عبد الله صبيغ، فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه حتى أدمى رأسه.

وفي رواية فضربه بالجريد حتى ترك ظهره خبزة، ثم تركه حتى برأ، ثم أعاد عليه الضرب، ثم تركه حتى برأ، فدعا به ليعيده عليه، فقال: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا، أو ردني إلى أرضي. فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين، فاشتد ذلك على الرجل، فكتب أبو موسى إلى عمر أن قد حسنت هيئته، فكتب أن ائذن للناس في مجالسته .(٩)

وهذا تصرف حازم، وتشريع حكيم من الفاروق- رضي الله عنه- للتعامل مع أمثال (صبيغ)، الذين يبتغون الفتنة، ويتركون المحكم، ويتبعون المتشابه، ويتلاعبون بكتاب الله تعالى، ويضربون بعضه ببعض.

---

(٩) سنن الدارمي ١ / ١٧٠، موسوعة أطراف الحديث ١ / ١٧٤٠٩٠، جامع الأحاديث ٢٥ / ٤٩٧، أقاويل الثقات ١ / ٥٨، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ٢ / ٣٣١ ، الدر المنثور ٢ / ٢٨٤ .

المبحث الأول

أهمية هذا المنهج في فهم وتفسير القرآن الكريم

رد المتشابه إلى المحكم نهج سديد يجب اتباعه والعمل به في فهم وتفسير القرآن الكريم. وهو سبيل العلماء الراسخين والمقتفين لآثار النبيين والصالحين من الصحابة ومن بعدهم .

قال جل شأنه : ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾

قال الإمام البيضاوي – رحمه الله – في تفسير هذه الآية الكريمة :

أي وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا فيه إلى المحكم من كتاب الله.(١٠) ولقد اتبع النبي ﷺ هذا المنهج مع أصحابه في توضيح بعض المتشابهات التي عرضت لهم في كتاب الله تعالى .

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ شقّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالُوا أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ (١١) ويترتب على اتباع هذا المنهج القويم في فهم وتفسير القرآن الكريم فائدتان أساسيتان:

الفائدة الأولى:

الوصول إلى الفهم الصحيح للعديد من آيات الكتاب العزيز التي اشتبهت على كثير من المسلمين ، بل وعلى عدد غير قليل من المفسرين والمختصين. فقد لوحظ أن من أهم أسباب الخطأ في التفسير عند كثير من المفسرين : عدم رد ما اشتبه عليهم من كتاب الله تعالى إلى المحكم . وسيتضح ذلك بالتمثيل في المبحث الثاني إن شاء الله .

---

(١٠) تفسير البيضاوي ٥ / ١٤٨

(١١) صحيح مسلم ك : الإيمان ب : صدق الإيمان وإخلاصه ١ / ٣١١ . والآية الأولى رقم ٨٢ من سورة الأنعام، والآية الثانية رقم ١٣ من سورة لقمان، عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه –

الفائدة الثانية:

يجلي هذا الموضوع أهمية النظرة الكلية الشمولية المستوعبة لكتاب الله تعالى، التي يبرز من خلالها أنه لا تناقض ولا اختلاف بين شيء من آيات القرآن الكريم، فالكل حق يجب الإيمان به واتباعه، ورد المتشابه منه إلى المحكم.

وهذا من علامة الراسخين في العلم، رد المتشابه إلى المحكم والإيمان بهما جميعاً؛ لأنها كلها من عند الله، وما كان من عند الله فهو الحق، وليس في الحق اختلاف أو تعارض أو تناقض، وإن بدر أحياناً فهو بسبب نظر الناظر، وليس في كتاب الله تعالى ولا في كلام رسول الله ﷺ اختلاف أو تناقض . فالواجب في نصوص القرآن الكريم التي يظهر عليها التعارض: الجمع بينها إن أمكن، ورد المتشابه منها إلى المحكم.

فضرب كتاب الله بعضه ببعض - وعدم الجمع بين آياته، وعدم رد المتشابه إلى المحكم - من عمل الذين في قلوبهم زيغ كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ ﴾، وهو سبب هلاك الأمم السابقة. فكل من تشبه بهم - في الوقوع في الخلاف الذي لا ينبغي في نصوص الكتاب والسنة- فقد شاركهم في تعرضهم للهلاك ؛ فقد قال النبي ﷺ في صحيح البخاري: ((لَا تَخْتَلِفوا فإنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفوا فهَلَكوا))(١٢)

وقد كان الرسول ﷺ يُنهي كل خلاف يدور حول آيات الكتاب الكريم بالتبيين لأصحابه الكرام، والتأكيد لهم أن المُتشَابه من الآيات لم يأت من أجل الأحكام، إنما جاء من أجل الإيمان فقط، ويقول في ذلك ﷺ: «إن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما تشابه منه فآمنوا به.»(١٣)

وعَنْ شُعَيْب، عَنْ جَدِّه، قَالَ: لَقَدْ جَلَسْتُ أَنَا وَأَخِي مَجْلِسًا، مَا أحِبُ أَنَّ لِي بِه حُمْرَ النَّعَمِ، أَقْبَلْتُ أَنَا وَأَخِي، وَإِذَا مَشْيَخَةٌ مِنْ صَحَابَة رَسُول الله ﷺ جُلُوسٌ عِنْدَ بَاب مِنْ أَبْوَابه، فَكَرِهْنَا أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ، فَجَلَسْنَا حَجْرَةً، إِذْ ذَكَرُوا آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ، فَتَمَارَوْا فِيهَا، حَتَى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ. فَخَرَجَ رَسُول الله ﷺ مُغْضَبًا، قَد احْمَرَّ وَجْهُهُ، يَرْمِيهِمْ بِالتُّرَابِ،

---

(١٢) رواه البخاري ٨ / ٢٥٦ ك: الخصومات باب ما يُذكرُ في الإشْخاص والخُصُومَة بين المُسْلم واليهود

(١٣) أخرجه ابن سعد في " الطبقات " ٤ / ١٩٢ بسند حسن . و عزاه السيوطي في " الزيادة على الجامع الصغير " ٣٢ / ١٩ للطبراني في " الكبير " . و لم يفعل ذلك في " الدر المنثور " (٢ / ٦)" " فقد عزاه فيه لابن سعد وابن الضريس في " فضائله " و ابن مردويه عن عمرو بن شعيب ... نحوه يراجع : السلسلة الصحيحة المجلدات الكاملة ١-٩ - ٤ / ٩٦ .

وَيَقُول: مَهْلا يَا قَوْمُ، بِهَذَا أُهْلِكَت الأُمَمُ مِنْ قَبْلِكُمْ، بِاخْتِلافِهِم عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، وَضَرْبِهِمْ الْكُتُبَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزِلْ يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ، فَاعْمَلُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ، فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ. (١٤)

فيرد المتشابه إلى المحكم يفسر القرآن بعضه بعضا، ويصدق بعضه بعضا، ولا يحصل فيه مناقضة ولا معارضة. ولهذا السبب كانت تسمية المحكمات أم الكتاب:

قال تعالى في صفة الآيات المحكمات: ﴿هُنَّ أُمُّ الكتاب﴾، والأم هي التي منها الابتداء وإليها المرجع، فسماها أما، لأنه يلوح معناها، فيُستنبط منها الفوائد، ويقاس عليها؛ فاقتضى ذلك بناء المتشابه عليها ورده إليها.(١٥)

قال الإمام السيوطي في الإتقان: المحكمات هي التي تُعتمد في فهم مراد الله من خلقه في كل ما تعبدهم به، من معرفته، وتصديق رسله، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه. وبهذا الاعتبار كانت أمهات.(١٦) وللشيخ الشعراوي – رحمه الله – كلام نفيس في هذا الشأن حيث يقول: سمى الله تعالى المحكمات أم الكتاب، قال الحق تعالى: ﴿هُنَّ أُمُّ الكتاب﴾؟ ولم يقل: هن أمهات الكتاب، لأنه ليس كل واحدة منهن أما، ولكن مجموعها هو الأم، قال جل شأنه – في شأن عيسى وأمه- :﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (١٧)

لم يقل الحق: إنهما آيتان؛ لأن عيسى–عليه السلام– لم يوجد كآية إلا بميلاده من أمه دون أب، أي بضميمة أمه، وأم عيسى لم تكن آية إلا بميلاد عيسى، أي بضميمة عيسى. إذن فهما معاً يكونان الآية. وكذلك ﴿هُنَّ أُمُّ الكتاب﴾ فالمقصود بها ليس كل محكم أمًا للكتاب، إنما المحكمات كلها هي الأم، والأصل الذي يَرُدُّ إليه المؤمن أيَّ متشابه. ومهمة المحكم أن نعمل به، ومهمة المتشابه أن نؤمن به.(١٨)

---

(١٤) أخرجه أحمد ٢/١٧٨(٦٦٦٨) وابن ماجة في سننه، عن عَمْرو بن شعيب ، عن أبيه، فذكره ويراجع : المسند الجامع ٢٦ / ٤١٠

(١٥) أحكام القرآن للكيا الهراسي ٢ /ص ١ وما بعدها . مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين ١ / ٢٧٢ . بتصرف .

(١٦) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ١١

(١٧) سورة المؤمنون ، الآية : ٥٠

(١٨) تفسير الشعراوي ١ / ٨٢٢

المبحث الثاني

أمثلة لرد المتشابه إلى المحكم في القرآن الكريم

يحتوي كتاب الله تعالى على عدد من الآيات الكريمة، كانت وما زالت موضع اشتباه على عدد من العامة والخاصة. وبمطالعة هذه الآيات الكريمة ودراستها يتضح ما يلي:

- الآيات المتشابهة في القرآن الكريم قليلة نسبيا، ولا ينبني عليها عمل، ولا يرتبط بها تكليف.(١٩)
- التشابه في آيات القرآن الكريم نوعان: تشابه نسبي، وهو الذي يخفى على شخص دون آخر. وتشابه مطلق، وهو الذي يخفى على كل أحد.
- برد المتشابه إلى المحكم يزول الإشكال، ويتبيَن المراد، ويتعيَّن وجه الصواب.

ونختار من المواضع المتشابهة في القرآن الكريم ثلاثة مواضع، لتكون موضع الدراسة والبحث. وفيها – إن شاء الله تعالى– الكفاية والدلالة.

الموضع الأول

رد المتشابه إلى المحكم في آيات صفات الله تعالى وأفعاله

وصف الله تعالى نفسه في كتابه الكريم بصفات، وأثبت لذاته أفعالا، وذلك في أكثر من موضع في القرآن العظيم. من ذلك قوله جل شأنه: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾(٢٠)، وقوله تعالى:

---

(١٩) وأقصد بقولي: (لا ينبني عليها عمل) أن المسلم إذا سمع – مثلا – قول الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾ لا يُطلب منه أكثر من أن يؤمن بأن لله سبحانه استواءً يليق بجلاله، وأن يوقن أن الله تعالى منزه عن خلقه. فالمتشابه من الآيات لم يأت من أجل الأحكام، إنما جاء من أجل الإيمان فقط. وقد أكد على هذا المعنى ابن تيمية – رحمه الله – حيث قال في فتاويه: ((قال كثير من السلف: إن المحكم ما يعمل به، والمتشابه ما يؤمن به، ولا يعمل به، كما يجيء في كثير من الآثار: ونعمل بمحكمه، ونؤمن بمتشابهه.)) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير) ٥ / ٣٨٣ .

(٢٠) سورة طه، الآية : ٥

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢١)، وقوله سبحانه: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ (٢٢)

وقد اشتبهت هذه الآيات الكريمة وأمثالها على كثير من الناس، ووقفوا منها مواقفَ متباينة. ودارت حول هذه القضية معاركُ كلامية طاحنة، ليست تفاصيلها بخافية على أهل العلم. والذي يهمنا ويخصنا في هذا المقام هو النظرة إلى هذه الآيات الكريمة والتعامل معها من خلال تطبيق القاعدة التي أسسناها، والسير على المنهج الذي أصّلناه وهو رد المتشابه على المحكم. فهذه الآيات الكريمة وأخواتها متشابهة باعتبار كيفيتها، وإن كانت من وجه آخر محكمة باعتبار معانيها، لأن الله تعالى ذكرها بالألفاظ الفصيحة المعلومة التي يفهمها العرب، ويفسرونها، ويعرفون مدلولها وما تدل عليه، فمعانيها الظاهرة المتبادرة ليست من المتشابه، أما كنه الصفة، وماهيتها، وكيفيتها، وأي شيء هي، فهذا من المتشابه.

ويدلنا على هذا: الإجابة المالكية المشتهرة؛ فعن سفيان بن عيينة أنه قال: سأل رجل مالكا فقال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ . كيف استوى يا أبا عبد الله ؟ فسكت مالك مليا حتى علاه الرحضاء ثم سري عنه فقال: "الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإني لأظنك ضالا". واشتهر هذا عن مالك في روايات كثيرة. وفي بعضها أنه قال لمن سأله: "وأظنك رجل سوء، أخرجوه عني" وأنه قال: "والسؤال عنه بدعة". (٢٣)

يقول ابن القيم- رحمه الله - : وأما تأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فهو نفس الحقيقة التي أخبر الله عنها. وذلك في حق الله هو كنه ذاته وصفاته التي لا يعلمها غيره.

ولهذا قال مالك وربيعة الاستواء معلوم والكيف مجهول. وكذلك قال ابن الماجشون، والإمام أحمد، وغيرهما من السلف: إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه، وإن كنا نعلم تفسيره ومعناه.

---

(٢١) سورة الفجر، الآية : ٢٢

(٢٢) سورة المائدة، الآية : ٦٤

(٢٣) التحرير والتنوير ١ / ٠٥٥١. بحر العلوم ٢ / ١١٦

وقد فسر الصحابة والتابعون القرآن الكريم، وعلموا المراد بآيات الصفات، كما علموا المراد من آيات الأمر والنهي، وإن لم يعلموا الكيفية. كما علموا معاني ما أخبر الله به في الجنة والنار، وإن لم يعلموا حقيقة كنهه وكيفيته.(٢٤)

والتعامل مع هذه الآيات الكريمة وأخواتها يكون من خلال ردها إلى المحكم من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ ﴾ (٢٥) وقوله جل شأنه:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝ ﴾. فمن آمن بصفات ربه جل وعلا، منزها ربه عن مشابهة صفاته لصفات الخلق فهو مؤمن، منزه، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل. وهذا التحقيق هو مضمون قوله جل شأنه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ ﴾ (٢٦)

فهذه الآية الكريمة- المحكمة- فيها تعليم عظيم، يحل جميع الإشكالات، ويجيب عن جميع الأسئلة حول الموضوع؛ ذلك لأن الله قال:﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ بعد قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾. ومعلوم أن السمع والبصر من حيث هما سمع وبصر يتصف بهما جميع الحيوانات. فكأن الله سبحانه يشير للخلق ألا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره، بادعاء أن الحوادث تسمع وتبصر، وأن ذلك تشبيه. بل عليهم أن يثبتوا له صفة سمعه وبصره على أساس:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾.

فالله جل وعلا له صفات لائقة بكماله وجلاله. والمخلوقات لهم صفات مناسبة لحالهم. وكل هذا حق ثابت لا شك فيه. إلا أن صفة رب السموات والأرض أعلى وأكمل من أن تشبه صفات المخلوقين. فمن نفى عن الله وصفا أثبته لنفسه فقد جعل نفسه أعلم بالله من الله، وهذا بهتان عظيم.

وفي سورة الإخلاص - المحكمة - نفى- سبحانه- عن ذاته التعدد بقوله: ﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ونفى عن ذاته النقص والاحتياج بقوله:﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ ونفى عن ذاته

---

(٢٤) الصواعق المرسلة ٣ / ٩٢٤

(٢٥) سورة الشورى، الآية : ١١

(٢٦) سورة الشورى، الآية : ١١

أن يكون والدا أو مولودا بقوله:﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾، ونفى عن نفسه الأنداد والأشباه بقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾.

فقوله- عز وجل- ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ تنزيه له - تعالى- عن الشبيه والنظير والمماثل. والكفء: هو المكافئ والمماثل والمشابه لغيره فى العمل أو فى القدرة. أي : ولم يكن أحد من خلق الله مكافئاً ولا مشاكلا ولا مناظرا له - تعالى- فى ذاته، أو صفاته، أو أفعاله.(٢٧)

الموضع الثاني

رد المتشابه إلى المحكم في قضية خلق نبي الله عيسى عليه السلام ورفعه

كانت حياة نبي الله عيسى عليه السلام زاخرة بالمعجزات الباهرة ، خاصة فيما يتعلق بميلاده ورفعه . وقد تناولت آيات القرآن الكريم رحلة حياة هذا النبي الكريم بالبيان والتفصيل . وقد جاءت هذه الآيات الكريمة محكمة في أكثرها ، مشتبهة على بعض الناس في أقلها .

ونتعرض فيما يلي لما ورد في ذلك في قضيتي ميلاد عيسى عليه السلام ورفعه . أما في قضية ميلاد عيسى عليه السلام : فمما ورد فيها من آيات القرآن الكريم قول الله جل شأنه:﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ (٢٨)

فقد اشتبهت هذه الآية على وفد نصارى نجران الذين قدموا إلى النبي ﷺ وسمعوا منه هذه الآية الكريمة - فيما تلا عليهم من كتاب الله -؛ فقالوا للرسول ﷺ ألست تقول عن المسيح: إنه كلمة الله وروحه ؟. فقال: بلى. فقالوا: حسناً، أي أننا لا نسمع منك بعد هذا قولك إنه عبد الله. بعد أن قلت إنه روح الله. وهم يريدون بذلك أن يتخذوا من هذا التعبير أداة لتثبيت معتقداتهم عن عيسى عليه السلام وأنه ليس من البشر. إنما هو روح الله-على ما يفهمون هم من هذا التعبير- بينما هم يتركون الآيات القاطعة المحكمة التي تقرر وحدانية الله المطلقة، وتنفي عنه الشريك والولد في كل صورة من الصور فنزل قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ

---

(٢٧) الوسيط، لسيد طنطاوي ١ / ٥٧٩٠٤ بتصرف يسير .

(٢٨) سورة النساء، الآية : ١٧١

هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٢٩)

فالنصارى تمسكوا بالمتشابه واحتجوا به فيما يفترون - زورا وبهتانا- أن عيسى ابن الله، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، ولم يرجعوا إلى الآيات المحكمة في هذا الشأن، وهي كثيرة، ومنها قوله جل شأنه عن عيسى عليه السلام: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٥٩) ﴾(٣٠)، وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٥٩) ﴾(٣١)، وقوله تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) ﴾(٣٢)

فهذه الآيات المحكمة في شأن ميلاد عيسى عليه السلام لا تدع مجالا لمتقول على الله وعلى كتابه، فهي واضحة الدلالة على عبودية عيسى لله رب العالمين، وأن مثله في الخلق كمثل آدم عليه السلام خلق بمشيئة الله تعالى وتقديره. كما ذكر سبحانه عيسى عليه السلام بلقبه وباسمه وببنوته لمريم، للإشارة إلى أنه إنسان كسائر الناس، وبشر كسائر البشر، فهو مولود خرج من رحم أنثى، كما يخرج الأولاد من أمهاتهم. وإذا كان لم يخرج من صلب أب، فيكفى أنه قد خرج من رحم أم، وكفى بذلك دليلا على بشريته. فتعلق النصارى بأن كون عيسى كلمة الله دليل على ألوهيته تعلق باطل، فما كانت الكلمة من الله إلها يعبد. وإنما سمي بذلك، لأنه نشأ بكلمة لا بمنى من الرجل يمنى. يقول الزمخشري: قيل لعيسى عليه السلام (كلمة الله) (وكلمة منه) لأنه وجد بكلمته وأمره لا غير، من غير واسطة أب ولا نطفة. وقيل له: روح الله، وروح منه، لذلك.(٣٣)

---

(٢٩) في ظلال القرآن ١ / ٣٣٨ والآية الكريمة رقم ٧ من سورة آل عمران .

(٣٠) سورة الزخرف، الآية : ٥٩

(٣١) سورة آل عمران، الآية : ٥٩

(٣٢) سورة المائدة، الآية : ٧٥

(٣٣) الكشاف ١ / ٤٩٣

وقوله:"كلمة الله" يحتمل أن يكون معناه: أنه الذي بشر به في كتب الأنبياء المتقدمين، ومثله قوله تعالى: ﴿ ذَلكَ عيسى ابنُ مريَمَ قولَ الحق الّذي فيه يَمْترُون﴾ (٣٤) فسماه كلمة وقولا من حيث قدم البشارة به. وسمى روحه، لأنه خلق من غير ذكر، بل أمر جبريل عليه السلام فنفخ في جيب مريم فقال:﴿ فنفخْنا فيه مِنْ روحنا﴾ فأضاف الروح إلى نفسه تشريفا له، كبيت الله، وأرض الله.(٣٥) وأما قوله سبحانه:﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ أي أنه - تعالى- أنشأه بروح مرسل منه، وهو جبريل الأمين. وقد يقال: إنه نشأ بروح منه- سبحانه – أنه أفاض بروحه في جسمه كما أفاض بها على كل إنسان كما قال جل شأنه:

﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ (٨) ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ (٩) ﴾ (٣٦) والرأي الأول أولى. وعلى ذلك يكون معنى قوله:﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ أي: أن عيسى عليه السلام نشأ بنفخ الله الروح فيه من غير توسيط سلالة بشرية، ونطفة تتشكل إنسانا، وذلك بالملك الذي أرسله وهو جبريل عليه السلام. (٣٧)

يقول الكيا الهراسي في أحكام القرآن: سمى الله تعالى القرآن روحا، لأنه يحيي به من الضلال، وسمى عيسى روحا، لأنه كان يحيي به الناس في أمور دينهم؛ فصرف أهل الزيغ ذلك إلى مذاهبهم الفاسدة، وإلى ما يعتقدونه من الكفر والضلال. فهذا مثال المتشابه، الذي يجب أن يرد معناه إلى معنى المحكم.(٣٨)

وأما في قضية رفع عيسى عليه السلام: فقد ورد فيها من الآيات ما اشتبه على بعض الناس من ظاهرها أن عيسى عليه السلام مات في الدنيا ، وأن الذي رُفع إلى السماء إنما هي روحه فقط. مثل قوله تعالى:﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ (٥٥) ﴾

---

(٣٤) سورة مريم، الآية : ٣٤

(٣٥) أحكام القرآن للكيا الهراسي ٢ / ٤

(٣٦) سورة السجدة ، الآيات : ٧ - ٩

(٣٧) الوسيط ، لسيد طنطاوي ١ / ١١٤٥

(٣٨) أحكام القرآن للكيا الهراسي ٢ / ٤

(٣٩)، وقوله سبحانه:﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٤٠) ومن ذهب إلى ذلك الطاهر بن عاشور، والشيخ محمد عبده، وبعض الكتاب المعاصرين.

والحقيقة أن هذا الاستدلال بالآيات الكريمة السابقة غير صحيح، إذ أن المحكم من الآيات القرآنية يرد هذا المعنى، ويؤكد على حقيقة رفع عيسى ﵇ حيا إلى السماء بروحه وجسده.

والمحكم في هذا الشأن قوله سبحانه:﴿ ... وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩) ﴾(٤١)

يقول الفخر الرازي في تفسيره: رفع عيسى ﵇ إلى السماء ثابت بهذه الآية، ومما يقوي ذلك أن الله تعالى ذيل الآية الكريمة بقوله:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ والمراد من العزة كمال القدرة، ومن الحكمة كمال العلم، فنبّه بهذا على أن رفع عيسى من الدنيا إلى السموات وإن كان كالمتعذر على البشر لكنه لا تعذر فيه بالنسبة إلى قدرتي وإلى حكمتي. وهو نظير قوله تعالى:﴿ سُبْحَانَ الذي أسرى بعَبْدِهِ لَيْلاً ﴾(٤٢) فإن الإسراء وإن كان متعذراً بالنسبة إلى قدرة محمد ﷺ إلا أنه سهل بالنسبة إلى قدرة الحق سبحانه.(٤٣)، وهذه الآية الكريمة السابقة – التي في سورة النساء – قطعية الدلالة في رفع المسيح ﵇، ولا تحتمل التأويل برفع روحه، لأن كلمة ((بل)) بعد النفي أو النهي يجب أن يكون ما بعدها إثباتا لضد المنفي المتقدم، أو أمرا بضد المنهي عنه. مع أن رفع الروح لا يضاد القتل والصلب المنفيين قبل ((بل)) لإمكان اجتماعه معهما. فحمل

---

(٣٩) سورة آل عمران، الآية : ٥٥

(٤٠) سورة المائدة، الآية : ١١٧

(٤١) سورة النساء، الآيات : ١٥٧ - ١٥٩

(٤٢) سورة الإسراء الآية رقم : ١

(٤٣) مفاتيح الغيب، للرازي ٥ / ٤٣٦ بتصرف يسير جدا .

الرفع في:﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ ﴾ على معنى رفع روحه يلغي النفي السابق، وينزله منزلة الهزل.

فلا شبهة في إثبات القرآن الرفع للذي نفى عنه القتل والصلب بعينه. وليس ذلك هو الروح المجردة. فإن كان لأي عاقل وجه معقول في أن يفهم من قولك مثلا: ((يرفعني مصعد العمارة كل يوم إلى الدور الرابع منها الذي أسكنه)) أن المرفوع إلى الدور المذكور، والساكن فيه روحك فقط، كان لمنكر رفع عيسى وجه في ادعاء: أن المرفوع منه روحه لا نفسه. وهذا في غاية الظهور إلا عند من لا يكادون يفقهون حديثا. فتأويل الرفع برفع الروح فقط دون الجسم تكلف زائد على صراحة النص، وكذا تفسير الرفع برفع الدرجة. ومثل هذه التكلفات إنما تُرتكب لضرورة تدعو إليها. (٤٤)، وليس في الحقيقة حاجة داعية للتعسف، وإخراج النص القرآني الكريم عن ظاهره.

ويزيد الشيخ الشنقيطي الأمر إيضاحا فيقول: إن كثيرا ممن لا تحقيق عندهم يزعمون أن عيسى عليه السلام قد توفي، ويعتقدون مثل ما يعتقده، ضُلّال اليهود والنصارى، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ۝٥٥ ﴾، وقوله سبحانه:﴿ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾، والجواب: أنه لا دلالة في إحدى الآيتين البتة على أن عيسى قد توفي فعلا.

أما قوله تعالى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ فإن دلالته المزعومة على ذلك منفية لأن قوله: ﴿ مُتَوفِّيك ﴾ حقيقة لغوية في أخذ الشيء كاملا غير ناقص، والعرب تقول: توفي فلان دينه يتوفاه، فهو متوف له. إذا قبضه وحازه إليه كاملا من غير نقص. فمعنى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ في الوضع اللغوي أي حائزك إليّ، كاملا بروحك وجسمك.

وإذا علمت هذا، فاعلم أن قوله تعالى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ لا يدل إلا على أنه قبضه إليه بروحه وجسمه، ولا يدل على الموت أصلا، كما أن توفي الغريم لدينه لا يدل على موت دينه.(٤٥)، وأما عطفه ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾، على قوله: ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾، فلا دليل

---

(٤٤) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين لمصطفى صبري ٤/ ٢٢٦

(٤٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٧ / ١٣١ وما بعدها .

فيه، لإطباق جمهور أهل اللسان العربي على أن الواو لا تقتضي الترتيب ولا الجمع، وإنما تقتضي مطلق التشريك.

أما قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَني ﴾، فدلالته على أن عيسى مات منفية، لأن ظاهر الآية أنه توفّي رفع وقبض للروح والجسد، لا توفي موت. وإيضاح ذلك أن مقابلته لذلك التوفي بالديمومة فيهم في قوله:

﴿ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡ ﴾

تدل على ذلك، لأنه لو كان توفي موت، لقال ما دمت حيا، فلما توفيتني لأن الذي يقابل بالموت هو الحياة كما في قوله:﴿ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴾ (٤٦) أما التوفي المقابل بالديمومة فيهم فالظاهر أنه توفي انتقال عنهم، إلى موضع آخر.(٤٧)

وجمهور علماء المسلمين على أن عيسى رفع حيا من غير موت ولا غفوة، بجسده و روحه إلى السماء. والخصوصية له ﷺ هي في رفعه بجسده، وبقاؤه فيها إلى الأمد المقدر له. ولا يصح أن يُحمل التوفي على الإماتة؛ لأن إماتة عيسى فى وقت حصار أعدائه ليس فيها ما يسوغ الامتنان بها . ورفعه إلى السماء جثة هامدة سخف من القول. وقد نزه الله السماء أن تكون قبورا لجثث الموتى. وإن كان الرفع بالروح فقط فأي مزية لعيسى فى ذلك على سائر الأنبياء، والسماء مستقر أرواحهم الطاهرة. فالحق أنه ﷺ رفع إلى السماء حيا بجسده. وكما كان ﷺ فى مبدأ خلقه آية للناس ومعجزة ظاهرة. كان فى نهاية أمره آية ومعجزة باهرة .

والمعجزات بأسرها فوق قدرة البشرة، ومدارك العقول، وهي من متعلقات القدرة الإلهية، ومن الأدلة على صدق الرسل- عليهم الصلاة والسلام- ".(٤٨)

---

(٤٦) سورة مريم، الآية : ٣١

(٤٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٧ / ١٣١ وما بعدها بتصرف واختصار .

(٤٨) يراجع : الوسيط لسيد طنطاوي ١ / ٦٢٥ بتصرف يسير جدا .

الموضع الثالث

رد المتشابه إلى المحكم في قصة الغرانيق الباطلة

جاء في سورة الحج قول الله – جل شأنه – : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾ ﴾ (٤٩). وقد اشتبهت هذه الآيات الكريمة على بعض المفسرين، من القدامى والمحدثين وأوردوا في تفسيرها وفي سبب نزولها كلاما واهيا، وقصة باطلة، تُعرف بقصة الغرانيق.(ومعنى الغرانيق: السادة العظام الأقدار، وقيل الغرانيق هي الطيور البيض التي ترتفع في السماء، وكان المشركون يسمون أصنامهم بذلك.)(٥٠)

تقول القصة المفتراة: إن النبي ﷺ قرأ في مكة سورة النجم في حضور جمع من المسلمين والمشركين، فلما بلغ في قراءته:﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾(٥١)؛ ألقى الشيطان على لسانه:(تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم. فلما ختم السورة سجد وسجدوا. فكبُر ذلك على رسول الله ﷺ، فنزل تسلية له:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ... الآيات ﴾ .

وممن أورد هذه القصة من المفسرين ونسج معنى الآيات على منوالها: السيوطي في الدر المنثور، والسمرقندي في بحر العلوم، وابن عطية في المحرر الوجيز، والزمخشري في الكشاف، وأبو بكر الجزائري في أيسر التفاسير. كما جاءت

---

(٤٩) سورة الحج ٥٢- ٥٤

(٥٠) يراجع: المحرر الوجيز ٥ / ٦ بتصرف

(٥١) سورة النجم، الآيتان : ١٩- ٢٠

هذه القصة في التفسير المنسوب لابن عباس – رضي الله عنهما – المسمى:(تنوير المقباس من تفسير ابن عباس).(٥٢)

وقبل أن نذكر كلام أهل العلم الذين تصدوا لبيان زيف هذه الرواية وفسادها وبطلان محتواها ومضمونها، فإننا نطبق القاعدة التي هي أساس موضوعنا، ونرد هذه الآيات الكريمة إلى المنهج الذي هو أصل هذا البحث، وهو: رد المتشابه إلى المحكم، فنرد هذا المتشابه من الآيات التي بين أيدينا إلى المحكم في كتاب الله – جل شأنه- وحينما نتصفح كتاب الله تعالى نجد فيه من الآيات المحكمة فيما يتعلق بهذا الخصوص ما يلي:

١. قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾(٥٣). وفي هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى أنه هو الذي أنزل القرآن (الذكر) على رسوله ﷺ، وهو الحافظ له من كل ما لا يليق به، ومن جميع ما يقدح فيه، في حال إنزاله وبعد إنزاله. ففي حال إنزاله حفظه من استراق كل شيطان رجيم. وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله ﷺ، ثم في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التبديل والتحريف.(٥٤)

٢. قوله جل شأنه:﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾(٥٥)، وتفيد هذه الآيات الكريمة أن الشيطان ليس له غلبة، ولا حجة. وليس له نفاذ الأمر﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ أي: صدقوا بتوحيد الله تعالى ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أي يثقون به، ولا يثقون بغيره. إنما غلبته

---

(٥٢) يراجع: الدر المنثور ٧/ ١٦٦ .بحر العلوم ٣ / ١٦٨ ، المحرر الوجيز ٥/ ٦ ، الكشاف ٤/ ٣٠١ . أيسر التفاسير ٣/ ١٣ . والتفسير المنسوب لابن عباس جمعه: محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (المتوفى: ٨١٧ هـ)

(٥٣) سورة الحجر، الآية رقم : ٩

(٥٤) يراجع: تفسير أبي السعود ٤ / ٦٥ ، تفسير السعدي ١ / ٤٢٩ ، أيسر التفاسير لأسعد حومد ١ / ١٨١٢ بتصرف .

(٥٥) سورة النحل، الآيات : ٩٨ - ١٠٠

وحجته ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ ﴾ أي: يطيعونه من دون الله تعالى.(٥٦)، وإذا كان الشيطان ليس له سلطان ولا نفاذ أمر على المؤمنين المتوكلين، فكيف بأول المؤمنين وبسيد المتوكلين ﷺ ؟

٣. قوله سبحانه:﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾(٥٧)، وفي هذه الآية الكريمة إخبار بتأييده تعالى عباده المؤمنين، وحفظه إياهم، وحراسته لهم من الشيطان الرجيم؛ ولهذا قال: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ أي: حافظًا ومؤيدًا وناصرًا.(٥٨)، وإذا كانت هذه العناية لعباد الله المؤمنين فإن رسول الله ﷺ له الحظ الأوفى والمقام الأسمى من هذه العناية.

٤. قوله تعالى: ﴿... وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾(٥٩)، والمراد: إن هذا القرآن لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه، لا يأتيه الباطل من أي ناحية من نواحيه، ولا يبطله شيء . فهو محفوظ من أن يُنقص منه، أو يزاد فيه، تنزيل من حكيم بتدبير أمور عباده، محمود على ما له من صفات الكمال.(٦٠)

٥. قوله جل شأنه:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾(٦١). وهذه الآيات الكريمة تنفي عن النبي ﷺ نفيا قاطعا أن يتكلم بالباطل، أو بهواه وشهوته، إنما يتكلم بما يوحي الله إليه، يعني القرآن، أي إنما يقول ما أُمر بتبليغه إلى الناس كاملا موفورا، من غير زيادة ولا نقصان.. فهو ﷺ مبلغ بالحق عن الحق، غير واهم ولا مفتر ولا مبتدع.(٦٢)

---

(٥٦) بحر العلوم ٢ / ٤٨٤

(٥٧) سورة الإسراء، الآية ٦٥

(٥٨) تفسير ابن كثير [illegible]

(٥٩) سورة فصلت، الآيتان: ٤١ - ٤٢

(٦٠) التفسير الميسر ٨ / ٤٠٩

(٦١) سورة النجم، الآيتان : ٣ - ٤

(٦٢) يراجع: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١ / ٢١٩٥ ، تفسير الخازن ٥ / ٤٩٦، في ظلال القرآن ٧ / ٥٤ . بتصرف .

وهكذا فإننا بتطبيق القاعدة العظيمة: (ردّ المتشابه إلى المحكم) على الآيات المشكلة التي معنا من سورة الحج استبان لنا أن معنى الآيات ليس على ما قالت بعض التفاسير، وإنما استبان لنا في ضوء ذلك المحكم أن كتاب الله الكريم لا تتسلط عليه الشياطين، وأن الشياطين لا تتنزل على القلب الطهور، ولا تقترب من الحمى الأقدس، وأن الله جل شأنه حافظ لكتابه من كل ما لا يليق به، ومن جميع ما يقدح فيه، في حال إنزاله وبعد إنزاله. وإنما أوقع بعض المفسرين في هذه الأوهام والأضغاث من الفهم عدمُ ردّ المتشابه إلى المحكم. هذا، وقد تصدى لهذه القصة غيرُ واحد من أفاضل المفسرين، والعلماء المحققين، وبينوا زيف وبطلان هذه المرويات التي وردت في بعض كتب التفسير. ومن هؤلاء الأفاضل-على سبيل المثال لا الحصر-: ابن كثير، والنسفي، وأبو حيان، والقرطبي، والبغوي، والشوكاني، ومحمد بن إسحق جامع السيرة النبوية، والبيهقي، والبزار، وابن خزيمة، والقاضي عياض، والألوسي، وسيد قطب، وأبو شهبة. جزاهم الله خيرا أجمعين.

ويمكن أن نلخص رأي القائلين بنفي القصة في النقاط التالية:(٦٣)

- هذه الرواية تصادم أصلا من أصول العقيدة، وهي عصمة الأنبياء – عليهم السلام – من أن يدس عليهم الشيطان شيئا في تبليغ الرسالة. ولو جوّزنا شيئا من ذلك لارتفع الأمان عن شرعه ﷺ؛ فإنه لا فرق– في منطق العقل– بين النقصان في نقل وحي الله وبين الزيادة فيه.
- يمتنع في حق النبي ﷺ أن يتمنى أن ينزل عليه شيء من القرآن في مدح آلهة غير الله. لأن ذلك كفر. كما يمتنع في حقه أن يتسود الشيطان عليه، ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه.
- من جوّز تعظيم الرسول للأصنام فقد كفر؛ لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه ﷺ كان لنفي الأصنام وتحريم عبادتها؛ فكيف يجوز عقلاً أن يثني عليها؟!
- يمتنع بحق النبي ﷺ أن يقول ذلك من قبل نفسه، عمدا أو سهوا، فالنبي معصوم من جريان الكفر على لسانه أو قلبه، عمدا أو سهوا.

---

(٦٣) يراجع : تفسير ابن كثير ٥/ ٤٤٥، تفسير البحر المحيط ٨ / ٢٣٤ ، تفسير البغوي ٥ / ٣٩٤، تفسير القرطبي ١٢ / ٨٤، تفسير النسفي ٢ / ٣٦٣ وما بعدها ، فتح القدير ٣ / ٤٦١ ، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، لمحمد بن محمد أبو شهبة ٤٤٠ -٤٥٢ ، روح المعاني للألوسي ١٧ / ١٧٥ – ١٨١، الشفا، للقاضي عياض ٢ / ٧٥٠ وما بعدها، في ظلال القرآن ٥ / ٦١١ .

- قصة الغرانيق غير ثابتة من جهة النقل، ورواتها مطعون عليهم، ولم يروها أحد من الثقات بسند متصل. وليس في الصحاح ولا في تصانيف الحديث النبوي الشريف شيء مما ذكروه. . والذي يتتبع طرق هذه القصة يجد أن جميع طرقها مرسلة، أو منقطعة، أو معلة، أو فيها جهالة؛ فالطرق مهما كثرت وكانت ضعيفة لا تزيد الرواية إلا ضعفا.(٦٤)
- جاء حديث قراءة النبي ﷺ سورة النجم وسجوده فيها من طرق كثيرة في الصحاح وكتب السنة، كصحيح البخاري، ومسند أحمد، وسنن البيهقي، وسنن أبي داوود وصحيح ابن حبان، وليس فيها مطلقا هذه القصة الملفقة، والتي تدعى قصة الغرانيق.

ففي البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ سُورَةَ النَّجْمِ فَسَجَدَ بِهَا فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنْ الْقَوْمِ إِلَّا سَجَدَ فَأَخَذَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ كَفًّا مِنْ حَصًى أَوْ تُرَابٍ فَرَفَعَهُ إِلَى وَجْهِهِ وَقَالَ يَكْفِينِي هَذَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدُ قُتِلَ كَافِرًا.(٦٥)

والتفسير الصحيح للآيات الكريمة كالتالي: لم يرسل الله رسولا أو نبيا إلى قوم إلا وتمنى أن يتبعه قومه وأن يستجيبوا لما يدعوهم إليه. ولكن ما تمنى نبي ولا رسول هذه الأمنية السامية إلا ألقى الشيطان في سبيله العوائق، وأثار الشكوك ووسوس في صدور الناس، لسلبهم القدرة على الانتفاع بما وهبوه من قوة العقل، وسلامة الفكر، فثاروا في وجه النبي وصدوه عن غايته. فإذا ظهروا في بادئ الأمر ظنوا أنهم على الحق، لكن الله تعالى يبطل مكرهم، ويزيل ما ألقى الشيطان في طريق الحق، ثم تكون الغلبة في النهاية لكلمات الله وشريعته.(٦٦)

وقوله تعالى:﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِى ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ المراد إزالة تأثير ما يلقي الشيطان، وهو النسخ اللغوي، لا النسخ الشرعي المستعمل في الأحكام. وللنسخ معنى آخر: هو النسخ من أفهام المخاطبين ما فهموه مما لم يُرِدْه ولا دل اللفظ عليه وإن أوهمه، كما أطلق الصحابة النسخ على قوله جل شأنه:﴿ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ ... ﴾ قالوا نسخها قوله:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ

---

(٦٤) يراجع: تفسير البعوي - / ٣٩٤ . وقاعدة تقوية الحديث بكثرة الطرق لا تُقبل على إطلاقها . وهذا ما حققه الحافظ أبو عمرو بن الصلاح في مقدمته ، وغيره من علماء الحديث المحققين .

(٦٥) صحيح البخاري، ك : الجمعة، ب : سجدة النجم ٤ / ٢٠٣

(٦٦) يراجع: أيسر التفاسير لأسعد حومد ١ / ٢٥٢٧، المنتخب ٢ / ٦٩بتصرف

نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ ﴾(٦٧)، فهذا نسخ من الفهم، لا نسخ للحكم الثابت.(٦٨)

والله تعالى أعلم،

---

(٦٧) سورة البقرة، الآية : ٢٨٦

(٦٨) شفاء العليل، لابن القيم ١ / ١٩٢

خلاصة البحث ونتائجه

من خلال رحلتي مع هذا البحث أستطيع- بفضل اللّه تعالى- في نهايته أن أخرج منه بهذه الخلاصة. والتي تتضمن أهم النتائج، وأذكرها محددة في النقاط التالية:

- الآيات المحكمات في كتاب الله تعالى هي الأصل في التشريع والتكليف. وإليها المرجع في الفهم والعمل.
- الآيات المتشابهة في القرآن الكريم قليلة نسبيا، ولا ينبني عليها عمل، ولا يرتبط بها تكليف. وقد جاءت في كتاب الله تعالى وفقا لحكمٍ سامية، ومقاصد عالية.
- التشابه في آيات القرآن الكريم نوعان: تشابه نسبي، وهو الذي يخفى على شخص دون آخر. وتشابه مطلق، وهو الذي يخفى على كل أحد.
- لا تناقض ولا اختلاف بين شيء من كتاب الله تعالى، فالكل حق يجب الإيمان به واتباعه، ورد المتشابه منه إلى المحكم.
- رد المتشابه إلى المحكم نهج سديد، يجب اتباعه والعمل به في فهم وتفسير القرآن الكريم. وهو سبيل العلماء الراسخين والمقتفين لآثار النبيين والصالحين من الصحابة ومن بعدهم.
- من ردّ المتشابه إلى المحكم تبيّن له المراد، وتعيّن له وجه الصواب، ومن اقتصر على المتشابه ضل سواء السبيل.

فهرس المراجع

١) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، الإمام جلال الدين بن عبد الرحمن بن الكمال. دار الفكر، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣.

٢) الإسرائيليات في التفسير والحديث: د/ محمد حسين الذهبي. مكتبة وهبه، الطبعة الرابعة. ١٤١١هـ ١٩٩٠م .

٣) البحر المحيط : أبو حيان محمد بن يوسف. دار الفكر. بيروت لبنان ط: الثانية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م.

٤) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور. الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.

٥) التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزيء الغرناطي. دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط : الثانية ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٦) التفسير الميسر: مجموعة من العلماء بإشراف الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط: مجمع الملك فهد- المدينة المنورة.

٧) الجامع لأحكام القرآن: القرطبى، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي. تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني. دار الشعب، القاهرة ط: الثانية. ١٣٧٢هـ .

٨) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور: السيوطي الإمام جلال الدين بن عبد الرحمن بن الكمال دار الفكر بيروت لبنان ط: الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣

٩) الطبقات الكبرى: لابن سعد(محمد بن سعد ت ٢٣٠ هـ) ط دار صادر بيروت.

١٠) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لمحمود بن عمر الزمخشري المعتزلي. ت ٥٢٨ هـ. ط: دار الفكر. بدون تاريخ.

١١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: للقاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي. ت ٥٤٦ هـ ط: المجمع العلمي بفاس المغرب ١٣٩٥ هـ. وطبعة دار الكتب العلمية. بيروت.

١٢) المسند: الإمام أحمد بن حنبل بن جلال بن أسد الشيباني. المكتب الإسلامي. بيروت لبنان. ط: الرابعة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م.

١٣) المنتخب: لجنة من علماء الأزهر إصدار المجلس الأعلى المصري للشؤون الإسلامية دار الأرقم ١٩٩٩م.

١٤) الوسيط في التفسير: محمد سيد طنطاوي. مطبعة دار السعادة. القاهرة مصر ١٩٧٧م

١٥) إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم. للعلامة أبي السعود. محمد بن محمد مصطفي العمادي الحنفي. ط: دار الفكر. بدون تاريخ.

١٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. للشنقيطي. ط:عالم الكتب. بيروت بدون تاريخ.

١٧) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات : مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي . الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت . الطبعة الأولى، ١٤٠٦

١٨) تحقيق : شعيب الأرناؤوط .

١٩) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) مطبعة مصطفى محمد. بدون تاريخ.

٢٠) أيسر التفاسير: للشيخ أبي بكر جابر للجزائري ٢ / ١١٦ ط مكتبة العلوم والحكم بالمدينة، ١٤١٨هـ ط: الثالثة .

٢١) أيسر التفاسير: أسعد محمد حومد. المكتبة العصرية – بيروت . ط: الأولى.

٢٢) بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي. تحقيق: د. محمود مطرجي. دار النشر: دار الفكر – بيروت.

٢٣) تفسير الشعراوي: الشيخ / محمد متولي الشعراوي . ط: أخبار اليوم بدون.

٢٤) تفسير القرآن العظيم: الشهير بتفسير ابن كثير. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. دار الفكر. بيروت ١٤٠١ هـ ١٩٨٢

٢٥) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ينسب لعبد الله بن عباس–رضي الله عنهما–) جمعه: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. دار الكتب العلمية بيروت ط: ٢٠٠٠م.

٢٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت: ١٣٧٦ هـ . مؤسسة الرسالة. بيروت. ط: لأولى. ١٤٢٣هـ .

٢٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود الألوسي أبو الفضل. دار إحياء التراث العربي. بيروت، لبنان.

٢٨) سلسلة الأحاديث الصحيحة: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي ط: الرابعة ١٤٠٥ هـ.

٢٩) سنن ابن ماجه: الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. المكتبة العلمية. بيروت. لبنان..

٣٠) سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي. تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي. دار الكتاب العربي. بيروت. ط: الأولى ١٤٠٧.

٣١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله. تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي. دار الفكر- بيروت. ١٣٩٨ - ١٩٧٨.

٣٢) صحيح البخاري: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري. دار إحياء الكتب الحديثة. عيسى الحلبي. القاهرة. مصر. بدون تاريخ.

٣٣) صحيح مسلم: أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. مصر.

٣٤) فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني. راجعه وعلق عليه الشيخ: هشام البخاري، الشيخ: خضر عكازي. المكتبة العصرية. بيروت لبنان. ط: الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٧م

٣٥) في ظلال القرآن: سيد قطب. دار الشروق القاهرة. مصر ط: الخامسة عشر، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٣٦) كنز العمال كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري. المحقق: بكري حياني- صفوة السقا. الناشر: مؤسسة الرسالة. ط: الخامسة،١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٣٧) لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن). علاء الدين، علي بن محمد البغدادي الخازن. دار مصطفى الحلبي ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م .

٣٨) لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور. دار صادر.

٣٩) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) الإمام أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي. دار الكتاب العربي، بيروت ط: الثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢

٤٠) مظاهر التشبه مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين المؤلف: أشرف بارقعان. دار طيبة.

٤١) معالم التنزيل (تفسير البغوي) أبو محمد، الحسين بن مسعود البغوي " ٥١٦ هـ " تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون. دار طيبة

٤٢) مفاتيح الغيب: الفخر الرازى، محمد بن عمر بن الحسين الرازي. دار الغد العربي. القاهرة. مصر. ط: الأولى.

٤٣) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. ط: الثالثة.

٤٤) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين: لمصطفى صبري. دار التربية. دمشق – بيروت ط: الأولى ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٧ م.